وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الدكتور يحي فارس – المدية –

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

خراب المدن في المغرب الإسلامي

الخلفيات والتداعيات

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الوسيط

تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي

من إعداد الطالبتين:

– سمية ميلوي

–فاطمة الزهراء بن عيسى

إشراف الأستاذ:

د.أمين كرطالي

السنة الجامعية: 2020–2021م

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الدكتور يحي فارس – المدية –

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

خراب المدن في المغرب الإسلامي

الخلفيات والتداعيات

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الوسيط

تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي

من إعداد الطالبتين:

– سمية ميلوي

–فاطمة الزهراء بن عيسى

إشراف الأستاذ:

د.أمين كرطالي

السنة الجامعية: 2020–2021م


بسم الله الرحمن الرحيم

شكـــر وعرفـــان



أولا نحمد الله عز وجل ونشكره على النّعم التي أنعمها علينا وأنار لنا درب العلم والمعرفة وأعاننا على أداء هذا الواجب ووفقنا في إنجاز هذا العمل

نتوجه بخاص الشكر والتقدير والعرفان إلى الأستاذ "كرطالي أمين" على ما قدمّه لنا من توجيه، وإرشاد خلال إعداد هذه المذكرة

والشكر موصولٌ إلى كلّ الأساتذة الذين درسّونا من الطور الابتدائي إلى الجامعي

كما نتقدم بالشكر والعرفان إلى كلّ من ساعدنا

من قريب أوبعيد.

إهـــداء

إلى اللذان يحملان أسمى معاني الحب والعطاء...إلى الرحمة والصفاء... والقلب الدافئ ذو السخاء غير المنقطع... التي طالما كانت شعاع النور لحلمي,,, لأهدي لها كلماتي... إلى المرأة التي أسكنت الأحلام لقلبي... إلى التي في نفس يريد لم كان منهلي... إلى من كانت دعائمها سرّ نجاحي وحنانها بلسم جراحي.

أثري فؤادي وقلمي لأكتب اسمها بين أسطري إلى صاحبة العطاء... أمي...أمي ...أمي نور عيني.

إلى أغلى ما لدي في الوجود إلى من وهب عمره من أجلي... إلى أعزّ الناس إلى قلبي...إلى من هو يفتخر وأنابه أفتخر أبي,,,أبي حبيب قلبي

إلى توأم روحي وشقيقته أختي الغالية ازدهار إلى إخواني الغوالي أسامة ومحمد

وإلى البراعم الصغار تاج الدين وعبد السلام

إلى كلّ الأهل و الأقارب و إلى التي شاركتني في إنجاز هذا العمل البسيط سمية

و إلى من أحبني في الله أهدي ثمرة جهدي

فاطمة الزهراء بن عيسى

إهـــــــداء

إلى أحلى هدية في الحياة إلى الحياة إلى معنى الحب والحنان
إلى بسمة الحياة وسرّ الوجود وأنقى إنسان على وجه الأرض
بحر الاطمئنان وسريان الأمان، إلى من كان دعائها سر
نجاحي... أمي

إلى ملاكي في الحياة من جرع الكأس فارغا ليسقيني قطرة حب
إلى الذي كلّت أنامله ليقيم لنا لحظة سعادة إلى من حصد
الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم إلى القلب الكبير أبي

كلمتان ما اتقاهما حفظهما الله وجعل لي في كل يوم تقواهما
وأين ما كنت في مقامي أبغي رضاهما

إلى من كانوا يضيئون لي الطريق ويساندوني ويتنازلون عن
حقوقهم لإرضائي وللعيش في الهناء إخوتي:أبو بكر،يوسف،
فطيمة، نعيمة، كريمة، خلود،وإلى أولادهم وزوجاتهم وأزواجهم،
وإلى جدتي الغالية وإلى رفيقة دربي "فتيحة" وإلى جميع
صديقاتي الذين ساعدوني في تحطيم الشوك لأصل للثمر

إلى كل من أحب أهدي هذا

سمية ميلودي

مـــقـــدمـــة

حظي تاريخ المغرب الإسلامي باهتمام كثير من المؤرخين، فأثاروا العديد من القضايا السياسية والاقتصادية والفكرية، ومع ذلك فهناك جزئيات لا زال يكتنفها الغموض، وتتطلب مزيد عناية، مثل قضية العمران في المغرب الإسلامي، على غرار مسألة خراب العمران في بلاد المغرب الإسلامي أو لنقل خراب المدن المغاربية.

إنّ ما يعرض للعمران من خراب لا شكّ أنّ أسبابه كثيرة، وهنا تظهر نباهة الباحث والقارئ النبيه، الذي يستشفّ من بواطن النّصوص المسكوت عنه وما أغفله النصّ التاريخي من حقائق ما يفيدُ في الإجابة على هذه التساؤلات، في ظلّ غياب أجوبة صريحة لدى روّاة التاريخ باستثناء عبد الرحمن ابن خلدون الذي أبدع في علم العمران وما يعرض له من عوارض، وحاول أن يعطي إجابات مقنعة عن هكذا قضايا.

وسنحاول في هذا البحث الوقوف عند قضية خراب المدن في المغرب الإسلامي، من خلال طرح الإشكالية التالية:

ما هي أهم المدن التي طالها الخراب، وما أسباب هذا الخراب ونتائجه؟

كما سنسعى للإجابة على بعض الإشكالات الفرعية التي يمكن أن نُجملها في النقاط التالية:

- ما هو مفهوم المغرب الإسلامي وأهمّ أقاليمه؟
- ما هو مفهوم الخراب وأسبابه العامّة؟
- ما هي الظروف السياسية والاجتماعية التي وقع فيها تخريب هذه المدن؟

إنّ الدّوافع التي جعلتنا نخوض غمار هذا البحث كثيرة، لكنّ أهمّها هو ولعنا بمثل هذه القضايا التي لا يزال البحث حولها فَتِيًا ويحتاج إلى تمحيص وتنقيب.

كما أردنا أن يكون هذا البحث زادا معرفيا في إنماء التاريخ المغرب الإسلامي، وفتح دراسات جديدة للبحث وتسليط الضوء أكثر على الجانب السياسي والاقتصادي ،كونه جدير بالدراسة والبحث.

ولإعداد هذا البحث اعتمدنا على المنهج التاريخي والوصفي والتحليلي لاسترداد لحوادث التاريخية ووصفها وتشخيصها ، وكان لبدة من إتباعه لتحديد الأسباب التي كانت وراء تخريب المدن في المغرب الإسلامي ، ورغم تعدد القوي السياسية المتسببة في تخريب المنشات العمرانية التي تتشكل منها المدينة.

إنّ إنجاز أي بحث معرفي يتطلّب مواجهة عدد من التحديات، وأثناء إنجازنا لهذا البحث واجهتنا مجموعة من العراقيل والصعوبات نذكر منها:

قلة الدراسات المتعلقة بهذا الموضوع، والذي دفعنا إلى البحث في المادة المصدرية المتعلقة بخراب المدن والتي وجدناها مجرد إشارات يعوزها التفصيل والتدقيق، كما أنّ اتّساع الموضوع ومجاله الجغرافي والزّمني، وتداخل أحداثه وتعدد جوانبه صعّب من مأمورية البحث. ناهيك عن ضيق الوقت المخصص الإنجاز هده المذكرة .

أما بخصوص الخطة التي رسمناها لإنجاز هذا البحث، فتمثلت في مقدمة و أربع مباحث وخاتمة. ففي المبحث التمهيدي خصصناه مبحثا لضبط معاني المصطلحات الواردة في بحثنا، كمصطلح المدينة والخراب ومفهوم بلاد المغرب.

ثمّ اتبعنا ذلك بثلاثة مباحث في كلّ مبحث تناولنا خراب المدن في إقليم من أقاليم بلاد المغرب، وفي كلّ اقليم تحدّثنا عن نماذج وأسباب التي حلت بخراب المدن .

ولأجل إنجاز هذه المذكّرة تمّت الإستعانة بمجموعة من المصادر والمراجع التي لم تبلغ العدد الكافي لإعطاء دراستنا حقها كاملا.

فهناك كتب الجغرافيا مثل:

1-اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب (ت 284هـ/897م) في مصنفة المرسوم بالبلدان، وهو أول مصدر جغرافي في لبلاد المغرب حيث زاره حوالي سنة (276هـ/889م) وسجل مشاهدته كما نقل عن أهله، فقدم بين أيدينا معلومات في غاية الدقة عن العمران وسكانه، ومختلف النشاطات الاقتصادية، كما حدد هذا الجغرافي المسافات بين البلدان، وهذا المصدر أفادني في كثيرا في دراسة المدن المتعلقة ببحثي، والتي تطرق لها من مختلف جوانبها.

2-ابن حوقل، أبو القاسم النصي (367هـ/990م)، في مصنفه صورة الأرض، وهو أيضا من الجغرافيين الذين زاروا بلاد المغرب، وقد جمع لنا هذا الجغرافي مادة غزيرة حول مدن المغرب بوصف دقيق للكثير من تفاصيلها وخصائصها في ذلك العهد، حيث وصف كل من طرق التجارة والسلع، ومختلف الأنشطة الاقتصادية التي يمارسها ساكنوها.

3-المقديسي: شمس الدين أبو عبد الله (ت 388هـ/998م) في كتابه أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم وهو أيضا من الذين زاروا بلاد المغرب وطافوا بأرضه، وقد أشار هذا المصدر إلى كثرة المدن والحصون والقرى بالمنطقة.

وأمّا كتب التاريخ فمثل:

1-القاضي النعمان: أبو حنيفة بن محمد التميمي (ت363هـ/973م) صاحب كتاب افتتاح الدعوة وصاحب هذا المصنف من رجالات الدولة الفاطمية اهتموا بتأريخ لها منذ بدايتها الأولى على أرض المغرب.

2-ابن عذاري المراكشي: أبو عبد الله محمد (ت712هـ/ 1312م) صاحب المصنف المرسوم بالبيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب وعاش صاحب هذا المصنف في فترة الدولة الموحدية ويعد مصنفه من المصادر الأساسية في تاريخ المغرب منذ الفتح الإسلامي.

3-ابن خلدون: عبد الرحمان (ت 808هـ/1405م) في كتابه العبر ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر وهو مصدر لا غنى عنه لكل باحث في تاريخ المغرب، ذلك أن صاحب هذا الكتاب اهتم بتاريخ البربر وأصالهم.
4-الدرجيني: أبو العباس أحمد بن سعيد توفي في منتصف القرن 07هـ/13م صاحب المصنف الموسوم بطبقات المشايخ بالمغرب ويظهر أنه اعتمد في مصنفه هذا على تاريخ أبي زكريا يحي بن أبي بكر (ت471هـ/1078م) وهذا المصنف غني بالأخبار عن تاريخ الإباضية بداية من نشأتها.

بينما استعنّا بعدد من المراجع والدراسات مثل:

1الجيلالي عبد الرحمان بن محمد :تاريخ الجزائر العام (د.ط) دار الأمة لطباعة والنشر والتوزيع ،2010 الجزائر .

2. الحريري محمد عيسى :الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي (حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب و الأندلس (160،296هـ) ط3 ، دار القلم لنشر والتوزيع الكويت 1408هـ،1787م.

3 -مؤنس حسين : تاريخ المغرب وحضارته من قبل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي إلى الجزائر وكتاب معالم تاريخ المغرب والأدنى.

مبحــث تمهيدي: (ضبط أهم المصطلحات)

-**المطلب الأول:** مفهوم المغرب الإسلامي

- **المطلب الثاني:** مفهوم المدينة

- **المطلب الثالث:** مفهوم الخراب

المطلب الأول:مفهوم المغرب الإسلامي

يُقصد ببلاد المغرب الإسلامي ذلك المجال الجغرافي الذي يحدّه شمالا بحر الرّوم أو البحر المتوسّط، ويحدّه غربا بحر الظّلمات "المحيط الأطلسي، أمّا جنوبا فتحدّه بلاد السّودان الغربي والشرّقي ، بينما تحدّه من الجهة الشرقية الإسكندرية.

فهو يضمّ المنطقة المُمتدّة من غرب الإسكندريّة إلى ساحل المحيط الأطلسي، والتي كانت تضمُّ ليبيا بولاياتها الثلاث (برقة وطرابلس وإقليم فزان) وتونس والجزائر ، وأخيرا المغرب الأقصى والمنطقة الواقعة بجنوبه الممتدة من الصحراء وموريطانيا إلى تخوم السنغال والنيجر خلال العصر الوسيط ببلاد المغرب.

وبحسب ابن خلدون فإنّ المغربَ يحدُّه شمالا البحر الأبيض المتوسّط[1]، وجنوبا[2] الصّحراء التي تفصله عن بلاد السّودان الغربي والشرقي، والتي تبتدئ من جبال الأطلس التي هي عند الرّحالة العرب تُسمّى بالعرق، وما يتّصلُ بهذا العرق جنوبا من بلدان عامرة ذات قرى ونخيل، مثل بلاد بودة وتمنطيط جنوب المغرب الأقصى وتسابيت وتيكورارين

[1]– البحر الأبيض المتوسط يعرف لدى الجغرافيين والمؤرخين العرب بالبحر المحيط أو البحر الأخضر أو بحر الظلمات أو البحر الرومي ويُسمّى عند الأعاجم ببحر أوقيانوس وبحر البلاية، وينتهي شرقا إلى سواحل الشام وثغوره مثل أنطاكية وطرسوس وطرابلس وصور والإسكندرية. محمّد بن محمّد الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، 2002، مج1، ص11؛ عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط2، 1988 م، ج6 صص128–135.

[2]– أطلق العرب على الحدود الجنوبية لبلاد المغرب مصطلح "القبلة" وهو إستعمالُ الشاميّين الذين جرى في عرفهم أنّ القبلة تقعُ جنوب بلادهم الشّام، لذلك صيّروا "قبلة" مرادفة لكلمة "جنوب".

جنوب المغرب الأوسط غدامس وفزان وودان جنوب إقليم طرابلس، بينما يجعلُ حدّه الغربي ينتهي إلى المحيط الأطلسي[1])..

أما شرقا فذكر ابن خلدون أنّ العرف الجاري لعهده بين سكان هذه الأقاليم أنّه لا يدخل في بلاد المغرب إقليم مصر أو برقة بل يبتدئُ من طرابلس[2]وما وراءها إلى جهة المغرب.

وكلمة المغرب ذات معني مطاطي لأنّها تدلّ على جهة نسبيّة، فهوة مغرب بالنّسبة إلى ماذا؟ هنا نميلُ إلى كونه مغربا بالنّسبة إلى مصر، بينما كان في الأوّل يُقصد بالمغرب ما غرُب عن عاصمة الخلافة العباسية بغداد –مدينة السّلام–2.

إنّ هذا التقسيم قد وجد صداه في كُتب الجغرافيين وإداريي الخلافة العباسيَّة، فنجدُ أنّ ابن خرداذبه يقول:((المغرب هو غرب مدينة السلام)، كما نسج على نفس المنوال قدامة بن جعفر(ت 337هـ) فذكر أنّ المغرب يُعنى به غرب مدينة السّلام. وإن كان ابن خُرداذبة قد سمّى المنطقة الواقعة غرب مصر ببلاد المغرب، بينما وردت التسمية عند قدامة بن جعفر ب "برقة وأفريقية والغرب أجمع" وفي نفس الفترة سمّى ابن حوقل المنطقة ببلاد المغرب[3].

---

[1]– عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ط2، 1988 م، ج6 ص ص128–135.

[2]– ولاية برقة أو أنطابلس كانت تعرف بإقليم لوبية ومراقية MARMARICA، وهي المنطقة الصحراوية الممتدة ما بين منطقة شرق طرابلس إلى حدود مصر غربا. أمّا أطرابلس (طرابلس) واسمها طربليطة Tripolitaine، فتعني باليونانية المدن الثلاث، تمتدّ من الجهة الغربية لطرابلس إلى حدود إفريقية. سعد زغلول عبد الحميد، من الفتح إلى بداية عصر الاستقلال، منشألة المعارف، الاسكندرية، 1993، ج1ص64–66.

[3]– قدامة بن البغدادي، الخراج وصناعة الكتابة،ج1، ط1،دار الرشيد للنشر، بغداد، ط1، 1981 م، صص115–119؛ محمّد بن حوقل البغدادي، صورة الأرض، دار صادر، أفست ليدن، بيروت، 1938م. أبو القاسم عبيد الله ابن خُرداذبه، المسالك والممالك، طبعة ليدن، 1889،ص72؛ هاشم العلوي القاسمي، مجتمع المغرب الأقصى، 1995م، مطبعة فضالة، المغرب، ج1 ص55–56

وينقسم المغرب الإسلامي إلى ثلاثة أقاليم فالمغرب الأدنى أو بلاد إفريقيا الذي يمتدّ من غرب الإسكندرية إلى ديار كتامة شرق قسنطينة وجيجل وصلا إلى بونة حسب كلام ابن خلدون، أمّا المغرب الأقصى فهو بلاد المصامدة وغمارة والذي يبتدئ من وادي ملوية إلى سواحل المحيط الأطلسي، بينما المغرب الأوسط فهو بالنسبة لابن خلدون تلك المساحة الممتدة من تلمسان التي اعتبرها قاعدة له، وصولا إلى بونة شرقا، وينحدر جنوبا من اشيروالزاب والمسيلة وقاعدته بسكرة جبال الأوراس إلى صحراء جنوب تلمسان حيث موطن القبائل المعقلية ومن جاورهم من زناتة.[1]

[1] أمين كرطالي، الفقهاء والحياة السياسية في المغرب الأوسط خلال القرنين (10هـ/15-16م)، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2013-2014، ص ص.74.75.

المطلب الثاني: تعريف المدينة

أشار البحث اللغوي إلى أن كلمة مدينة ترجع أصلا إلى كلمة دين وإن لهذه الكلمة هذا المعني أصلا في لآرامية والعربية أي أنها ذات أصل سامي وعرفت المدينة عند الأكادين والأشورين بالدين أي بالقانون كما أن الديان يقصد بها في اللغة الآرامية مدينتا وتعني القضاء[1].

وفي نفس هذا السياق وبنفس المعاني وردت كلمة " مدينة " في القرآن الكريم في إحدى وثلاثين مرة، بصيغ مختلفة (المفرد _ المثنى _ الجمع) ومعان متعددة إحدي وثلاثين مرة.[2]

مثل قوله تعالى: ((قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ)).[3]

أما في اللغة اللاتينية فكلمة مدينة CITY مشتق منCIVITAS اللاتينية ويرادفها باليونانية POLIS وفي اللاتينية والإغريقية كانتا هاتان الكلمتان تجسمان فكرة دولة المدينة TYSTATE أي هي تلك الدولة التي تتركز مؤسساتها وكيانها في وحدة صغيرة لها بؤرة مركزية لحياتها ونشاطها ولكن كلمة CIVITAS مدينة أخذت بالتدرج بمعنى أوسع عموما منذ عام 1150م وهو التاريخ الذي نضجت فيه فكرة العصور الوسطى عن المدينة وأصبحت الكلمة تعني حُلّة صناعية وتجارية لها قانونها الخاص وحائطها المحصن[4].

إنّ المدينة عبارة عن تجمّع لعدد معتبر من السكّان، في مجال عمراني تحكمه سلطة سياسية أو جماعة نافذة، وفق قانون مقرر ومؤسسات مُنظّمة لشؤون الحياة. وهذا التجمع

---

[1]– محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، عام المعرفة الكويت 1988م، ص17.

[2]– محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم د. ن، بيروت،(543–544).

[3]– سورة الأعراف ،الآية 123.

[4]– جمال حمدان، جغرافية المدن، ط2، علا الكتب،القاهرة،(د. ن)، ص 82،83.

اختلفت تسمياته باختلاف تخصّصات الكتّاب، فعند الجغرافيين هي في مقابل البوادي والأرياف والأرباض، فكلّ تجمّع خارج هذه المجالات البدوية الواقعة في الأطراف هي مُدن لكنّها تتنوع بحسب الكثافة السكانية، ولقد وقعنا على تحديدات لأهمّ أنواع التجمعات السكانية التي أوردها المقدسي وهو من أشهر الجغرافيين المسلمين، وذلك بقوله ((اعلم إن جعلنا الامطار كملوك و القصبان بالحجاب و المدن كالجند و القرى النازحة))

ونستفيد من هذا الكلام أنّه يوجد أمصار جمع مصر والقصبات جمع قصبة والمدن ثمّ القرى، وهذه التسميات المختلفة قد تُعبّر عن حجم التجمّع لكنّه من الناحية اللغوية فالكلّ يشيرُ إلى المدينة.

أمّا الفقهاء فيعرفون المدينة على أنّها (كل بلد جامع يقام فيه الحدود و يحله أمير و يقوم بنفقته و يجمع رستاقة)

بينما نجد عدّة تعريفات حديثة للمدينة، فمنها تعريف صلاح البسيوني الذي ذكر أنها: ((ذلك المجتمع المصلح المتحدث الذي يتم أنشاؤه بناءا على أسس تخطيطية شاملة ومتكاملة جوانبه الاقتصادية والاجتماعية والتنظيمية ويلي ذلك فقل العناصر البشرية المختارة بشروط معينة وذلك بهدف تحقيق وضع اجتماعي اقتصادي متطور عن الوضع السابق في المدن التقليدية السابقة ويكون الهدف منه تنمية وتطوير الموارد البشرية والاقتصادية ورفع المستوى الاجتماعي[1])).

أما الباحث هشام جعيط فيعتقد أن المفهوم العربي للمدينة ربما يكون حصنا أو بصورة أدق المدينة الحصن وكذلك هي فهي مدينة بها حصن أو بناءات محصنة[2].

[1]– مصطفى عمر حمادة، المدن الجديدة دراسة الأنثروبولوجيا الحضرية، دار المعرفة الجامعية.

[2]– هشام جعيط الكوفة، نشأة المدينة العربية الإسلامية، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر2005ص122

المطلب الثالث: تعريف الخراب

الخراب ضد العمران[1]، ونقصد به في بحثنا هذا ما يعرض للعمران من تلاشي وتقهقر، أو للديمغرافية من تناقص بسبب الحروب أو الهجرات، أو ما يعرض للعمران من تبدّي بفعل غزو القبائل البدوية.

وكثيرة هي الأسباب التي ساهمت في خراب مدن المغرب الإسلامي، بعضها أسباب داخلية وأخرى خارجية، فالخارجية مثل الحروب التوسعية كالحروب التي خاضها الموحدون من أجل توحيد بلاد الغرب الإسلامي وما أسفر عنه من قضاء على دولتي بني حمّاد وبني زيري.

ومن الأسباب الخارجية أيضا غزو القبائل والجماعات النّازحة كالغزو الهلالي[2]. الذي أثر كثيرا على عمران بلاد المغرب الإسلامي، وأثّر على طرق التجارة وجعلها عرضة للصوص وقطاع الطريق.

ومنها أيضا تغيير القوافل لطُرقها التجارية وما يلحق المدن التي لم تعد ضمن محطّات القوافل من تقهقر وتراجع، مثل مدينة القلعة وباغاية وكثير من المدن الساحلية التي فقدت قيمتها بعد أن هجر التجار المسالك المارّة عليها.

يُضاف إلى هذه العوامل ظهور مدن سلطانية جديدة تستقطب سكّان المدن القريبة وتؤثّر على عمرانها. مثل مدينة المهدية التي استطاعت أن تُهمّش مدينة القيروان خلال الفترة الفاطمية.

[1]– قاموس المعجم الوسيط، اللغة العربية المعاصر، الرائد، لسان العرب، القاموس المحيط، قاموس، عربي، عربي.

[2]– كرطالي ، المرجع السابق ، ص42.

أمّا الأسباب الداخلية فكثيرة مثل الصراعات الداخلية بين الأمراء والسلاطين أو الناجمة عن تمرّد الجند أو السكّان، أو بسبب الفتن والنزاعات الطائفية أو التي نتجت عن كوارث طبيعية من زلازل وفيضانات وأوبئة وجوائح[1].

[1]–محمد غالم، ظاهرة الزلزال في الأسطوغرافيا الجزائرية التقليدية(بين الذاكرة والتاريخ)،إنسانيات، المجلة الجزائرية في الأنتروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، ع3، 1998، ص47–67.

المبحث الأول:نماذج وأسباب خراب المدن في المغرب الأقصى

-**المطلب الأول:** مدينة سجلماسة

-**المطلب الثاني:** مدينة فاس

-**المطلب الثالث:** مدينة سبتة

المطلب الأول: مدينة سجلماسة

مدينة سجلماسة هي واحدة من الحواضر التي لعبت دورا هامّا في الحوادث السياسية التي عرفتها بلاد المغرب إبّان الثورة الخارجية الكبرى، وقد قامت فيها دولة بني مدرار الصفرية، واتّخذوها عاصمة لها، وحوّلوها إلى مركز تجاري ونقطة عبور ومحطّة مهمّة للقوافل التجارية.

وتندرج سجلماسة ضمن ما تسميه المصادر ب"بلاد القبلة "وهو إصطلاح عام يشمل منطقتي درعة وسجلماسة وبلاد الصحراء.[1] وقد استمرّ إشعاعاها إلى نهاية الفترة الفاطمية، ثمّ بدأت تتقهقر وتتراجع، خصوصا خلال الحقبة المرينية، الذين سيطروا عليها بعد استيلائهم على مدينة فاس سنة 653هـ1255م وطردو عنها عامل الخليفة أبي محمد عبد الحق الجنفيسي، فيم حاول الزيانيون أن يُضعفوا سيطرة المرينيين على المدينة، فهي تمثّل لهم مركزا تجاريا ومنفذا إلى السودان الغربي[2].

وبسبب ضعف الدولتين المرينية وكذا الزيانية، شهدت مدينة جسلماسة تراجعا اقتصاديا وسياسيا في منتصف القرن الثامن الهجري الرابع عشر ميلادي نتيجة ضعف السلطة المركزية بالمغرب الإسلامي، وصارت تتحكم فيها القوى المحلية، وتحولت إلى حلبة صراع بين القبائل .

وكان لصراع أولاد حسين مع الأحلاف بالغ الأثر فيما آلت إليه سجلماسة بعد موت السلطان أبي عنان فارس، ففي سنة 762هـ/1363م تدخلت بطون ذوي منصور في

[1] حسن حافظ العلوي ،سجلماسة وإقليمها ،في القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي ،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 1418هـ.1997م، ص23.

[2] نفسه، ص ص 196، 199.

الشؤون السياسية للمغرب الأقصى وانعكست خلافاتها على الجهود أبناء أبي علي عمر في الاستقلال بمناطق سجلماسة .

وأشار حسن الوزان إلى تخريب مدينة سجلماسة حين قال بأن أهلها ثاروا في عهد أبي العباس وخربوا السور الخارجي للمدينة وقتلوا الوالي، وتفرقوا في القصور الكبرى المحصنة 100سنة 796هـ1393م.[1]

[1]حسن حافظ العلوي ،المرجع السابق ص ص438 – 440.

المطلب الثاني: مدينة فاس

ارتبط تاريخ فاس باسم الأدارسة الذين أسّسوها وحوّلوها إلى عاصمة لهم، وهي العاصمة التي استبحرت فيس العمران، وساهم موقعها والحوادث السياسية التي ألمّت بالمغرب والأندلس في أن تتشكّل بها عدوتين، عدوة القرويين وعدوة الأندلسيين.

وقد غدت فاس مدينة عظيمة استبحرت في العمران، وتنوعت ساكنتها وهو ما أدّى إلى بعض الصراعات بين سكّان العدوتين، كما أنّ الأزمات السياسية المتكرّرة كادت أن تُنهي وجود هذا المدينة خصوصا أيام الصراع بين الفاطميين والأمويين على مُدن وسواحل المغرب الإسلامي، فقد شهدت عدّة أزمات نظير ما أعقب ثورة بني الذين زحفوا مع من انضمّ إليهم من زناتة و خرج إليهم حمامة بن المعز من فاس في جموع قبائل مغراوة، حيث كانت بينهم حرب شديدة إنهزم فيها حمامة بن المعز وفر إلى مدينة وجدة ،وتمكن تميم اليفراني من دخول مدينة فاس في جمادة الآخرة عام 424هـ 133م حيث قتل بها الكثير من اليهود وأخذ أموالهم وسبى نساءهم وبعدها مباشرة أقام بها قرابة سبعة أعوام، قبل أن يستعيدها حمامة بن المعزّ رفقة جموع مغراوة [1].

[1] –طه جمال أحمد ، مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين448هـ 1056م إلى 668هـ 2169م ، دار الوفاء للطباعة والنشر ،الاسكندرية ، مصر ، ص70.

لكنّ الملاحظ هو أنّ مدينة فاس لم تلق مصير سجلماسة ولا غيرها من المدن، فاستمرّ نجمها ساطعا، وذلك لأنّ موقعها الاستراتيجي، وحسن اختيارها، وأيضا طبيعة سكّانها، واستبحارها في العمارة مكّنها من الصمود أمام الحوادث العابرة. [1]

[1] –طه جمال أحمد ، المرجع السابق ص75.

المطلب الثالث: مدينة سبتة

تعدّ مدينة سبتة واحدة من المدن الساحلية الاستراتيجية في إقليم المغرب الأقصى، واشتهرت بالتجارة برا وبحرا وكان يقصدها تجار المدن الإيطالية وخاصة تجار جنوة حيث كانت لهم فنادق فيها كما كانت سبتة بداية لطرق القوافل المؤدية إلى غانة والسودان الغربي، وقد عرفت المدينة عدّة حوادث خصوصا أيّام الثورة الخارجية الكبرى، كما أنّ امتناعها عن الموحّدين قبل أن يتمكّنوا من إخضاعها حوّلها إلى مدينة مغضوب عليها، لكن رغم ذلك لم تتعرّض هذه المدينة لكبير تخريب. فقط أمر عبد المؤمن بهدم أسوارها كما فعل بفاس بعد سقوطها[1].

وبقيت سبتة مدينة تراوح نفسها، وتعيش حالة استقرار تنعم بالأمن إلى غاية سنة ست وسبعين وخمس مائة حين هجم عليها الأسطول البرتغالي الذي اتجه صوبها لضرب الأسطول الموحدي الراسي بمينائها ولكن قائد الأسطول عبد الله ابن جامع أقلع من سبتة به لمواجهة الأسطول البرتغالي في عرض البحر وانضم إليه قائد الأسطول بإشبيلية، أبو العباس الصقلي فاجتمع الأسطولان بثغر قادس ثم التقيتا بالأسطول البرتغالي ولتحمت المعركة التي انتهت بالظفر لأسطول الموحدين الذي حمل معه أسرى البرتغاليين[2].

[1]– محمد بن تاويت، المرجع السابق، ص67.

[2]– نفسه، ص73.

المبحث الثاني: نماذج وأسباب خراب المدن في المغرب الأوسط

-**المطلب الأول:** مدينة تيهرت

-**المطلب الثاني:**مدينة القلعة

-**المطلب الثالث:** مدينة ميلة

المطلب الأول: مدينة تيهرت

ليس هناك تحديد قاطع لتاريخ بناء مدينة تاهرت، رغم أن بعض المصادر قد جعلت سنة 144هـ ابتداء بناءها وذكر الرقيق القيرواني أنّ عبد الرحمان بن رستم قد وصل تاهرت منهزما إثر حصار طبنة سنة 154هـ/771م، وربّما قصد بذلك موقع المدينة التي ستسمى تيهرت.

لقد كان نزول عبد الرحمان بمن معه على قبيلة لماية اثر هزيمة اباضية جبل نفوسه ومقتل إمامهم أبي حاتم، من قبل يزيد بن حاتم سنة 154هـ/771م، ويبدوا انه لم يكن بالإمكان أن يضلَّ هؤلاء منقسمين بين القبائل الإباضية في منطقة تاهرت، فاتفقوا مع عبد الرحمان على "بناء مدينة تجمعهم" وهذا يجعل من المرجح أن يكون بناء تاهرت قد وقع سنة 161هـ/777_778م[1].

تألقت مدينة تيهرت وصمدت رغم ما عرفته من حوادث سياسية وعسكرية واضطرابات متكرّرة بين الفينة والأخرى، إلى أن سقطت في يد أبي عبد الله الشيعي سنة297هـ/909م دون قتال، وذلك لبلوغ الدولة الرستمية في عصرها الأخير دورة الضعف والاضمحلال والخلافات التي نشبت بين أبناء البيت الرستمي، والانقسامات بين القبائل التي كانت هي عمدة جيش الرستميين[2].

ويتحدث ابن عذاري أيضا عن الاستعدادات الضخمة التي جهزها أبو عبد الله الشيعي لضرب الدولة الرستمية فيقول:"فلما عمل له ما أراد من جيوشه وجهازه وعدده وآلات سفره

[1]– جود عبد الكريم يوسف، العلاقات الخارجية للدولة الرستيمة، المؤسسة الوطنية للكتاب ط3، شارع زيروت يوسف، ص70.

[2]– محمود اسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري،ط2/ مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء المغرب،1406، ص ص229–230.

استخلف على افريقية أخاه أبا العباس وأبا تمام بن معارك الأجانب ثم خرج من رقدة يوم الخميس للنصف من رمضان في مجموع كالدبي المنتشر ومعه وجوه رجاله وأهل دعوته... فسار أبو عبد الله حتى حل مدينة تيهرت فدخلها بالأمان وقتل بها من الرستمية [1]"

وبسبب دخول الفاطميين فرّ الكثير من الإباضية خصوصا من أبناء الأئمة الرستميين صوب ورجلان، وهكذا فتحت تاهرت أبوابها دون قتال وانسابت جيوش الفاطميين داخلها حتى أهلكت الحرث والنسل".[2]

ومن آثار تخريب مدينة تيهرت حرق مكتبة المعصومة إحدة المكتبات العظيمة، التي حوت آلاف الكتب المتنوعة مثل الكتب الرياضية والأدبية، وإن كانت هذه المصادر لا تقف عند هذا الحد بل إلى أن مصير هذه المكتبة بعد دخول أبي عبد الله الشيعي إلى تيهرت كان الأمر بحرقها . وذكر أنه وجد صومعة مملوءة كتب وهي المشتملة على ديوان تاهرت الذي يذكره العزابة ،فانتفى منه ما انتفى وأحرق الباقي ، فلم يبقى شئ من الديوان أثر أصلا.[3]

ولم تستقر الأوضاع في مدينة تيهرت للفاطميين، بل كانت مدينة كثيرة التمرّد حيث تكرّرت تمرّدات القبائل الزناتيّة مثل ثورة محمد بن حزر المغزاوي عليها، بتنسيق مع بعض المعارضين للحكم الفاطمي فيها، وتعود بدايات ذلك الصراع إلى حادثة قتل رسل أبي عبد الله الشيعي الذين أرسلهم إلى عبيد الله المهدي ب سجلماسة، وعند عودتهم بعد إتمام

[1]–محمد عيسى الحريرى، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس 160هـ–296م)،ط3، دار القلم للنشر وتوزيع الكويت1408هـ–1587م،ص ص183 –184.

[2]– الدرجيني، أبو العباس أحمد سعيدات حوالي القرن07هـ–13م، كناب طبقات المشايخ بالمغرب، تح، إبراهيم طلاي(د.ط) مطبعة البحث قسنطينة الجائر (د،ت)ص95؛ محمود اسماعيل عبد الرزاق، المرجع السابق، ص ص 232–233.

[3]– نفسه، ص95.

مهمتهم قتلوا عن آخرهم من طرف جماعة زناتية تخضع لمحمد بن خزر الزناتي ، في منطقة الزاب قرب طنجة وكانت هذه الحادثة بداية الحركة العدائية التي تبنتها زناته ضد نضام الفاطمين ومات أثنائها تمامون كانوا يؤدون مهمة خاصة ومن ثم كان على قبيلة كتامة بدافع العصبية أن تأخذ بثأر قتلاها وعلى الداعي باعتبارهمسئول عن مصيرهم ورأس الحركة أن يقوم بعمل حاسم لتأديب قطاع الطرق من بدو زناتة، وقد نشطت حركة المعارضة تأمر بن خزر ضد سلطات الفاطمين في تاهرت ، سند وقت مبكر يرجع إلى بداية عهد أوائل ولاة المدينة الكاتمين وهو ،بوحميدي دواس،الذي كلف بالإشراف على شؤونها ومراقبة حركات المعارضين فيها[1].

وفي عهد الزيريين خصوصا أيّام أبي الفتوح والذي يُسمى (بلكين)بن زيري (362 _ 373 هـ 984 _ 972 / م) استمرت الاضطرابات في المدينة، فاتّجه إليها لعقاب أهلها وتمكّن من استرجاعها عنوة في رمضان 362هـ/ 05جوان ، 5 جويلية973 وقتل الرجال وبسى النسوة والأطفال ونهب المدينة واحرقها[2]، وهو ما تؤكده عبارات المؤرخين مثلما أورده ابن خلدون حين قال: " فرحل إليها وخربها" فقصدها أبو الفتوح وخربها[3].

[1]–موسى لقبال، دور قتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري (11م)، (د ط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص ص349–350.

[2]– الهادي روجرا دريس، الدولة الصنهاجية، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب، بيروت، ط1992،1م، ج1، ص82.

[3]– ابن خلدون، المصدر السابق،ج6، ص206؛ محمد بن عميرة، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي ، المؤسسة الوطنية للكتاب 3، شارع زيروت يوسف الجزائر، ص245.

المطلب الثاني:مدينة القلعة (قلعة بني حماد)

1)-الموقع الجغرافي لمدينة القلعة:

قلعة بني حماد أو كما يطلق عليها في بعض المصادر قلعة الطويل ، هي قلعة واسعة تتميز بالحصانة ، وظهرت على الساحة بعد سقوط القيروان[1]، كما وصف لنا صاحب الاستبصار القلعة على أنها قديمة ازلية ذات خير وفير ، بنيت على جبل عظيم[2]، فهي من أكبر البلاد قطرا وأغزرها خيرا، وأوسعها أموالا وأحسنها قصورا،وهي في سند جبلي سامي الارتقاء الحصن ، يحيط بها سورها بجميع الجبل ويسمى تاقربت[3]، تشبه في الحصن ، ما يحكى عن قلعة أنصاكية، وهي قاعدة ملك بني حماد بن يوسف الملقب باكين بن زيري بن مناد الصنهاجي البربري وهي قرب أشير من أرض المغرب الأدنى[4].

إنّ مدينة القلعة استفادت كثيرا من تدهور وتراجع مدينة القيروان على إثر تخريب القبائل الهلالية لها، وبدأت شيئا فشيئا تستقطب تجار الآفاق، وعلماء الأمصار، لكنّ القبائل الهلالية التي كانت تزحف بطريقة بطيئة لكنّها فعّالة صاروا يضايقون جنباتها ويتربّصون بأطرافها.

و كانت موقعة سبيبة التي انهزم فيها الناصر ابن علناس قد أسفرت عن نتائج خطيرة بالنظر إلى ما حلّ بجيشه وما أعقبه من أضرار بعمران المدنينة من قبل قبائل بني هلال ، فقد خلفت مشاكل كبيرة قدرها بعض المؤرخين على غرار ابن الأثير والنوري اللذان ذكرَ أنّ

---

[1]- الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، مكتبة لبنان، بيروت، ص486.

[2]-مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمطار تعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشروق الثقافة العامة بغداد، العراق، ص167.

[3]- الشريف الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الافاق مجلد الأول مكتبة دار الثقافة،1422هـ-2002م، ص255. أنظر: الملحق رقم01.

[4]-اسماعيل العربي، المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط3، شارع زيروت يوسف، الجزائر، ص168.

ك"جُملة من قُتل في هذه الواقعة من صنهاجة وزناتة وأربعة وعشرون ألفًا"[1] أمّا ابن عذاري لم يصّدر رقمًا لعدد القتلى وإنمّا يكتفي يذكر:" وقتل من أصحابه خلق كثير"[2]

وبالنظر إلى عدد القتلى كما جاء في الروايات التاريخية فهو عدد كبير يتم على أنّ جيش الناصر قضي عليه قضاء مبرمًا بحيث كسرّ عسكر الناصر ابن حماد، ولم يسلم هذا الأخير إلاّ في عشرة من فرسانه، كما أنه إثر الهزيمة نهيت العرب الهلالية معسكر الناصر بما احتوي من مال، وسلاح وطرب وتقاسموا تلك الغنائم والأسلاب[3].

وبعد هذه الهزيمة بادرت رياح في اتباع الناصر بن علناس حتى لحق بالقلعة فنازلوها وحاربوا جناباتها وأحبطوا عروشها [4]، وهكذا فقد امتد يد التخريب الهلالي لعمران المدن بالمغرب الأوسط وافتتحوا عهدهم في ذلك بتخريب جنبات القلعة الحمادية، و إحباط عروشها والعيش فسادا بضواحيها بعد موقعه سبيبة و التي تُشبه إلى حد كبير ما حل بالمعز ابن باديس ومدينته القيروان من خراب إثر انهزامه في معركة حيدران.

ويؤكّد ابن خلدون [5] أن تخريب القلعة مسّ فقط أطرافها وجوانبها، وليس قلب المدينة ومؤسساتها، فعرب الرياح عجزت عن اقتحام المدينة أو دخولها لحصانتها وعدم قدرتهم على قتال أصحاب الحصون والمرتفعات، فالقلعة الحصينة الواقعة في سند جبل سامي العلو

---

[1]إبن الأثير، الكامل في التاريخ، راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق،ط4، دار الكتب العلمية بيروت لبنان 1424هـ،2003م، ص373، شهاب الدين النوري، نهاية الإرب في فنون الأدب ج24،تح عبد المجيد تريجيني(د،ط)، دار الكتب العلمية وبيروت لبنان(د،ت)، ص123.

[2]–ابن عذاري المراكش، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ،ج1،تح: ج،ش ،لولانواليفيبروقنسال، ط3، دار الثقافة بيروت لبنان 1983، ص299.

[3]– النويري شهاب دين أحمد بن عبد الوهاب(ت733هـ/1332م) نهاية العرب في الفنون الأدب، تح عبد المجيد ترجيني(د.ط)، دار كتب علمية، بيروت لبنان،(د.ت)، ص ص123–124.

[4]– ابن خلدون ، المصدر السابق، ج6، ص27. حسين مؤنس، المرجع السابق، ص622.

[5]– محمد سليمان الطيب، موسوعة القبائل ال_عربية وبحوث ميدانية و تاريخية ، مج 1، ط2، دار الفكر الغربي القاهرة 1418هـ –1997م ص426.

صعب الارتقاء وهي محاطة بالأسوار على العكس من مدينة القيروان التي دخلتها العرب الهلالية وخربتها[1].

وعليه يكون الموقع الطبيعي الحصين لمدينة القلعة هو ما جنبها ما حل بمدينة القيروان كشأن مدينة المهدية التي عجزت القبائل الهلالية أن اقتحامها أيضا في حين اقتصر التخريب على جنبات القلعة وضواحيها[2]. كما حصل بالشبه للمهدية وضواحيها وأر باضها .

لكنّ مضايقة العرب لأطراف المدينة كان سببا كافيا لارتحال الحماديين عنها، وتحوّل الكثير من ساكنتها إلى مدينة بجاية، وازداد النشاط الهلالي في فترة الأمير الحمادي الثامن العزيز بن منصور[3] في 500_515 هـ1121 _1105 / م الذي في عهده تعرضت القلعة لهجوم هلالي كان من نتائجه تخريبها بالكامل[4].

على الرغم من أن ابن خلدون يذكر أن عهد العزيز بن منصور كانت أغلب أيامه هدنة وأمانا بعد تلك الإجراءات التي اتخذها لإعادة السلاح ونبذ الصراع بين صنهاجة وزناته من جهة وبين صنهاجة في حد ذاتها من جهة أخرى فإن مدينة القلعة تهاجمها القبائل الهلالية مستعملة استقرار العزيز ابن المنصور في مدينة بجاية[5].

---

[1]–ابن خلدون، المصدر السابق،ج 6، ص 27.

[2]– عبد الحليم عويسي، دولة بني حماد، صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، ط2، دار القصور للنشر والتوزيع والقاهرة 1991/1411م، ص98.

[3]–ابن خلدون ، المصدر السابق، ج6، ص234.

[4]– الميلي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث،ج2، تقديم وتصحيح، محمد الميلي (د.ط) المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر (د.ت). عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج1،(د.ط) دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر2010، ص371.

[5]–ابن خلدون، المصدر السابق،ج6، ص234. عبد الحليم عويسي، المرجع السابق، ص150.

وهكذا استغلت العرب الهلالية قلة الحماية التي تركها العزيز بن منصور في القلعة مستفيدة من تفوق عدتها فأجبرت الحماية على الخروج فاسحة المجال لها لتمعن فسادًا فيها مخلفة أضرارا سيئة على عمرانها.

وحاول العزيز ابن المنصور أن ينقذ المدينة من عبث وتخريب بني هلال بعدما عجزت الحامية الحمادية عن مجابهتهم فأرسل أحد أبنائه[1]. وبوصول الجيش الحمادي إلى القلعة كانت العرب قد خربت فاكتفي يحي بن العزيز بتسكين الأحوال وتأمين العرب وعاد إلى بجاية[2].

ويرى المؤرخ الهادي روجي إدريس المهتم بتاريخ الدولة الصنهاجية أن العزيز بن المنصور قام سنة 514 هـ 1121 / بحصار مدينة تونس ويعلق هذا المؤرخ على ذلك الحصار بقوله:"أنه كان من الأول على العزيز أن يستثمر جهوده لمقاومة الهلالين الذين اجتاحوا منطقة القلعة وعاثوا فيها فسادا[3]. وما يؤكده المؤرخ الجزائري عبد الرحمان الجيلالي الذي جعل من سنة 512 هـ 1118 / م تاريخا لإغارة العرب الهلالية لحلفائها على القلعة الحمادية فاكتسحوا المدينة وهلكوا [4].

إن مدينة القلعة على الرغم من واقعها في موضع وعر و حصين إلا أنها تعرضت للتخريب من طرف الهلالين أيام الناصر ، ومع استمرار نشاطهم التخريبي والعبث فسادا ضواحيها انتقل عنها أمراء بني حماد إلى بجاية وهو ما زاد في طمع الهلالين في اكتساحها

[1]–ابن خلدون، المصدر السابق ، ج6، ص 235، إسماعيل العربي المرجع السابق ،ص206.

[2]– عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العرام، (د، ط)، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص371.

[3]–روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص382.

[4]– عبد الرحمان الجيلالي،المرجع السابق، ج1، ص371.

وإضعافها في عهد العزيز بن منصور الذي تعرض في عهده للتخريب للمرة الثانية ، بعدما تعرضت للخراب الأول في عهد جدّه الناصر.

المطلب الثالث: مدينة ميلة

ميلة هي واحدة من المدن الرومانية التي بنى على استمرّت في التواجد طيلة الفترة الإسلامية، تقع شمال غرب مدينة قسنطينة على الطريق بينهما وبين سطيف[1]، كانت مدينة عامرة ومحصنة تتبع بني الأغلب[2]، وقد سكن النومودين واستقر فيها في الفترات القديمة وحسب بعض الدارسين المحدثين تكون مدينة القلعة العسكرية الأمامية[3].

وقد عرفت المدينة ب "ملو" وميلاف"وميلوفيثانيا ،وميلويوم، وميلا، وميلوين، إلا إن العرب فضلوا اسمها القديم ميلة ، وهي ميزة تميزيها العرب المسلمين الذين كانوا يستعملون الأسماء القديمة للمدينة الرومانية ، والبزنطية التي يحولونها إلى مدن إسلامية ، مع تعريف بسيط حتى يسهل نطقها"[4]وكان فتحها على يد أبي المهاجر دينار[5](55-62هـ/675-681م)بعدما تقلد ولاية المغرب من قبل معاوية بن أبي سفيان حيث قاد جيشا سنة (55هـ/675م)وافتتحها وكان يبعث منها سرايا والحملات العسكرية للجهاد .وفضل أبي المهاجر موقعها كونها تتوسط مدن المغرب الاوسط الشرقية من جهة، وكذا منطقة المغرب

[1]-عبد العزيز فيلالي وابراهيم بحار، مدينة ميلة في العصر الوسيط، دراسة سياسية ثقافية إدارية عمرانية(د.ط)، دار البلاد لاتصال والخدمات قسنطينة، 1998، ص9.

[2]-اليعقوبي أحمد بن اسحاق، كتاب البلدان، مطبعة لندن،1890، ص140.

[3]- بوبة مجاني،" مدينة قسنطينة في الفترة الإسلامية" مجلة العلوم الانسانية ،العدد8، جامعة قسنطينة1997، ص53.

[4]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص10.

[5]-ابن عذاري، المصدر السابق،ج1، ص28.

الأدنى والأوسط من جهة أخرى كما أقدم،أبو المهاجر دينار على تشييد مسجد القصبة على أنقاض القلعة القديمة [1].

التخريب الزيري لمدينة ميلة:

كانت مدينة ميلة إحدى المدن التي تعرضت للتخريب، إضافة إلى مدينة عنابة أخرى من طرف جيش المنصور بن بلكين، سعيا منه للقضاء على أشكال التمرد والثورة التي ظهرت بمنطقة كتامة[2]،وكانت أسباب التخريب، رغم أن المنصور بن بدعي استمر على ولاته للشعيين بالقاهرة يرسل لهم الهدايا الثمينة[3]، غير أن ذلك لم يبدد مناوف بلاط القاهرة من النزعة الاستقلالية التي أبداها المنصور وأصبح لزاما العمل على تأديبه من جهة، ومن جهة أخرى ضمان استمرار الولاء للفاطميين بالقاهرة، وكان أول إجراء اتخذوه كتمهيد لذلك مرتين رجل فارسي يدعى أبا الفهم الخرساني داعيا، وكلفوه بمهمة تنظيم الثورة ضد الزرين وأوفدوه من مصر إلى بلاد المغرب، وكان ذلك في سنة 376هـ/950م، ثم اتبعوه بإجراء آخر تدعيما لسابقه ويتمثل في وضع واعتماد عبد الله بن محمد الكاتب مشرفا على الدعوة الشيعية لا سيما علية ببلاد المغرب[4]. وكانت هذه الإجراءات التي اتخذها بلاط القاهرة واضحة المعالم وهدفها الرئيسي وضع حد لنظام الزيرين وهو ما أشارت إليه بوضوح حينما كلفت الداعي أبي الفهم حسن بن نصر الخرساني بالاستقرار في إقليم كتامة والتعاون مع قبائله، والتنسيق بينهم لخلق المشاكل ضد المنصور الزيري[5]، وبنزول هذا الداعي أرض

[1]– مختار حساني موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، ج3، (د.ط)دار الحكمة، الجزائر2007، ص156.

[2]–النويري، المصدر السابق، ج24، ص102، نجم الدين الهنتاني: المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي إلى منتصف القرن 05هـ/11م، (د،ط) منشورات تبرر الزمان، تونس، 2004م،ص239.

[3]–ابن عذاري، المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تح،محمد الكتابي وآخرون، ط1 ،دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب ودار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،1406هـ-1985م، ص240.

[4]–النويري، المصدر السابق، ج24،ص100. موسى لقبال، المصدر السابق، ص590.

[5]– المصدر نفسه ، ج24، ص100.

المغرب لقي حفاوة وتكريما من طرف يوسف بن عبد الله الكاتب (نيابة عن أبيه)، وأجري عليه جرايات جليلة وأكرمه، وأعطاه الأموال ثم توجه الداعي إلى إقليم كتامة[1].

ونظرا لأهمية المدينة الإستراتيجية فقد أضحت منذ القرن 08م حامية عسكرية تحت إشراف والي طبنة، ولعبت هذه المدينة دورا كبيرا في مواجهة حركة الخوارج الإباضية والصفرية، أما في عهد الاغالبي فكانت مقرا لوالي اغلي إلى حين دخولها من طرف أبي عبد الله الشيعي بجيشه،بعدما ضيق الخناق عليها،فاضطر أهلها إلى طلب الأمان وتسليم المدينة سنة 290هـ/ 902م[2].

وقد عرفت هذه المدينة نموا عمرانيا واقتصاديا كبيرا مثل ما يورده صاحب الاستبصار بأنها: <<مدينة أزلية فيها أثار للأول، وهي الآن عامرة كثيرة الحطب رخيصة السعر >>، ويضيف في نفس السياق بأنها كثيرة الأسواق والمتاجر، يحيط بها سور صخر جليل[3]، نجد أن الوصف الذي أورده ياقوت الحموي تبدو المدينة من خلاله أقل شأنا من الحال التي وصفها عليه صاحب الاستبصار حيث لا تعدو مدينة ميلة عن كونها مدينة صغيرة، قليلة الماء بأقصى إفريقية[4]، ويمكن ن يحصر ذلك الاختلاف في وصف حال المدينة بين الذي وصفها بالمدينة ذات الازدهار الاقتصادي والعمراني، على غرار صاحب الاستبصار والإدريسي[5].

---

[1]–روجي ادريس، المرجع السابق، ج1، ص112.

[2]–عبد العزيز فيلاي، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية والمغرب، (د،ط.)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007 ، ص24.

[3]–مجهول، الاستبصار، المصدر السابق،ص161.

[4]–ياقوت الحموي، معجم البلدان،(د،ط)، دار صادر، بيروت، 1397هـ–1977م ، ص125.

[5]–الإدريسي، نزهة المشتاق، ج1، ص266، مارمول كربخال، إفريقيا، ج3، ترجمة، محمد حجي وآخرون، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، 1409هـ/1989م، ص13.

-نتائج تخريب مدينة ميلة:

بعد عملية التخريب التي أقدم عليها المنصور في حق عمران مدينة ميلة وسيلا من مدن كتامة، ونقل سكانها إلى باغاي يذكر البكري أن مدينة ميلة بقيت << خرابا ثم عمرت بعد ذلك [1]>>، ومن خلال ما أورده البكري يذكر لنا أن مدينة ميلة بعد تخريبها ظلت مدة من الزمن على ذلك الخراب، الذي أثر على دور المدينة، خاصة وأن التخريب لم يقتصر على هدم الأسوار، بل تعداه إلى هدم البيوت والمنازل، وبين ظل دور المدينة يتضاءل شيئا فشيئا وينقص سكانها، وتخرب مساكنها وعمرانها، بعد ما كانت عامرة في الأول، كثيرة المساكن، حسنة البناء[2].

وفي القرن الخامس الهجري (11م) استعادت المدينة حيويتها، ونشاطها في ظل الحكم الحمادي، حيث عمرت بعدما كانت خرابا، حيث جدد عمرانها ومن سورها، وهرما تستشفه من خلال أوصاف الرحالة والجغرافيين بشأنها.

فالجغرافي البكري يصفها في الفترة التي عاشها بقوله: << وعليها سور صخر اليوم، وبها جامع، وأسواق وحم امات، والمياه تطرد حولها[3] >> أما صاحب الاستبصار فيصفها قائلا:<< وهي الآن عامرة، كثيرة الخصب رخيصة السعر، وهي كثيرة الأسواق، والمتاجر >>[4].

[1]-البكري، الأندلسي(ت487هـ/1097م) المسالك والممالك مج2، تح: جمال طلبي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،(1424هـ/2003م)، مج2، ص245، ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص243.

[2]-عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص ص75-78.

[3]-البكري،المصدر السابق، مج، ص245.

[4]-مجهول، الاستبصار،المصدر السابق، ص166.

ولكن رغم ذلك فإن مدينة ميلة بعد ذلك الخراب لم تبرز كما غزة ذات سيادة وإنما تراجع دورها،[1] لصالح مدينة قسنطينة[2].

نجد أن البكري عندما يتطرق إلى حملة المنصور على ميلة يذكر أنه كان << في سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة في شوال خرج المنصور من القيروان غازيا لكتامة >>[3]، ويحذ حذوه ابن عذاري قائلا: << وفي سنة 378هـ تحرك أبو الفتوح المنصور بعساكره إلى بلاد كتامة >>[4]، ورغم هذا الاختلاف جر تحديد هذا التاريخ فأن ما يهمنا نحن من خلال دراستنا هذه الحملة هو مصير هذه الحملة، إذ يذكر البكري أن المنصور إثر خروجه في هذه الحملة كان عازما كل العزم على <<استلام أهلها واستجابتهم>>[5] غير أنه وفي الوقت لذي كان ينتظر أن يلقى جيش الفهم في جهة، لقي جموعا من النساء، والعجائز، والأطفال عند باب المدينة فما كان منه إلا أن عفا عن أهل المدينة[6]، ولكن هذا العفو لم يمر بسلام على عمرانها إذا أمر المنصور جيشه بهدم مدينة ميلة، وأطلق أيدي رجاله لنهبها ولتخريبها وهدم أسوارها[7]، ولم تتوقف هذه الحركة التخريبية بل تواصلت تخريب المنازل، والقصور، ومدينة كتامة في بعض هذه الحركة المخربة مدينة سطيف[8]، والمنصور لا يمر بدار ولا قصر ولا منزل إلا

[1]–عبد الحق معزوز، <<مدينة ميلة الإسلامية بين النصوص التاريخية والآثار المادية، مجلة دراسات تراثية، العدد 02، دار الميلة للطباعة والنشر والتوزيع والإسلام، الجزائر، 2008م، ص201.

[2]– مجهول، الاستبصار، المصدر السابق،ص265، أنظر:الملحق رقم02.

[3]–البكري، المصدر السابق، مج2، ص245.

[4]–ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص243.

[5]–البكري، المصدر السابق، مج2، ص245.

[6]–ابن الأثير، المصدر السابق، مج7، ص431.

[7]–البكري، المصدر السابق، مج2، ص245. النويري، المصدر السابق، مج2، ص101.

[8]– نفسه ، ص259.

أمر بهدمه وحرقه بالنار، حتى تمكن من أبي الفهم في مدينة سطيف وقتله[1]، كان المنصور يسعى لتخريب مدينة ميلة لتهديم وتخريب وحرق المدينة.

كما أن الروايات التاريخية أشارت إلى أن المنصور على غرار تخريب لمدينة ميلة وهدم سورها، هدم وخرب أيضا مدن أخرى من بلاد كتامة، غير أنها لا تذكر هذه المدن وتحددها، وعليه فإن مدينة إيكجان التي بناها الداعي الشيعي أبي عبد الله قد تكون تعرضت هي الأخرى لعمليات التخريب والهدم لأنها موقعها يتوسط مدينتي ميلة وسطيف، وبذلك فهي ربما على الطريق الذي سلكه المنصور بعد تخريبه لمدينة ميلة متوجها نحو مدينة سطيف أين يتحصن الداي الخرساني أبي الفهم وبذلك خربها مع المدن التي مرت في طريقه. [2]

[1]–ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص243.

[2]–ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص243.

المبحث الثالث: نماذج وأسباب خراب المدن في المغرب الأدنى

-المطلب الأول: مدينة القيروان

-المطلب الثاني: مدينة طرابلس

-المطلب الثالث: مدينة برقة

المطلب الأول: القيروان

تعدّ القيروان أول مدينة إسلامية تمّ بناؤها في المغرب، وكان الغرض من بنائها التمكين للاسلام، وتحويلها إلى قاعدة عسكرية على شاكلة مدينتي البصرة والكوفة، ومدينة الفسطاط، وقد اختار موقعها عقبة بن نافع وفق ما يتناسب مع طبيعة العرب وما يصلح لإبلهم، وهو الاختيار الذي جعل المدينة لا تتأقلم مع التحديات الجديدة والتغيرات التي طرأت على العالم الإسلامي[1].

وقد ارتبط اسم المدينة بموقعة حيدران وغيرها من الوقائع التي أنهت حكم الزيريين عليها، وأسّست لمرحلة ما بعد الغزو الهلالي، فالقبائل العربية بعد أن اجتازت النيل كانت أول أرض وطأتها أرض برقة، وما والاها وذلك سنة 442هـ/ 1050م أين وجدوا بلادا كثيرة المرعى خالية من الأهل لأن رباته كانوا أهلها فأبادهم المعز، فأقامت بها العرب واستوطنتها كما عاثوا في أطراف البلاد فساد، عملا بوصية المستنصر الذي أباح لهم من برقة إلى ما بعدها، وعندما استقروا في برقة تقاربوا على البلاد كان لسليم الشرق، أي برقة، ولهلال الغرب أي طرابلس وما والها غربا.[2]

قبل وصول القبائل الهلالية الزاحفة نحو القيروان فدمرت كل العمران الدي كان في طريقها في برقة وطرابلس وخرابهما، وهذا ما أورده عبد الواحد المراكشي في نصه يصف فيه تلك المدن بعد القيام بتخريبها من طرف القبائل العربية حيث يقول<< وكان للإسكندرية وطرابلس حصون متقاربة حدا إلى أن خربت الأعراب تلك الحصون، ونفت عنها أهلها أيام

[1]– سمير محمد زيتون، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، (ط1)، دار المنارة للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، 1408هـ-1988م، ص 85.

[2]– البشير بوقعادة، المرجع السابق، ص 171.

خلي بن عبيد بينهم وبين طريق إلى المغرب وذلك في حدود سنة 440 هـ فأستولى الخراب عليها إلى وقتنا هذا واستولتها الأعراب وأثار هذه المدن باقية إلى اليوم>>.[1]

لم يكن انتقال بنو هلال من برقة وطرابلس إلى المغرب الأدنى قاصدين القيروان بحملتهم، بل أوفدوا إلى القيروان جماعة منهم وعلى رأسها أبرز زعمائهم في تلك المرحلة من الغزو وهو مؤنس ابن يحي الذي كان سيدا في قومه شجاعا عاقلا[2].

ولقد أحاطت العرب بالقيروان سنة446هـ/ 1045م، وحكموا حصارها وضيقوا عليها ضيقا شديدا حتى ملكت الضواحي والقرى، وملك مؤنس ابن حي مدينة بامة وأطاعت أهلها وإشارة المعز ابن باديس على الرعية بإنتقال إلى المهدية لعجزهم عن حمايتهم[3].

إن الإشارة إلى الأعمال التخريبية التي قامت بها العربية الهلالية في المغرب الأدنى قبل وصولها كانت أعمالا تخريبية من أجل أضعاف وتخريب حضارة القيروان.

-هزيمة حيدران وتخريب مدينة القيروان:

أول المعارك التي خاضها المعز 433هـ/1053م ضد العرب الهلالية هي معركة عيد الأضحى، التي وصفها بالداهية العظمى، والمصيبة الكبرى وهي معركة جبل حيدران، والتي هزم فيها المعز وجميع صنهاجة شر هزيمة، وكان جيشه بلغ حينها ثمانين ألف رجل، في حين أن هذه المعركة حسب ابن الأثير والنويري هي المعركة الثانية بعد وقعة يوم العين التي كانت في عيد النحر من نفس السنة، أين جمع المعز تسعا وعشرين فارسا <<وهجم على العرب وهم في صلاة العيد فقطعت العرب الصلاة، وأركبوا خيولهم فانهزمت صنهاجة، وقتل

[1]- عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص اخبار المغرب، شرحه صلاح الدين الهواري، (د، ط)، المكتبة العصرية، بيروت، 1426هـ-2006م، ص 250.

[2]-ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص288.

[3]- ابن الأثير مصدر السابق، ج1، ص 297.

منهم خلقا كثيرا، ولكن أعاد جمع جيشه من جديد، وخرج في صنهاجة ورنانة لحرب العرب يريد مباغتتها في بيوتها، غير أنه من شرق على بيوتها فركبت العرب خيولها وكانوا سبعة ألاف والتقوا واقتلوا، وانهزم المعز بن باديس رغم ثباته عمن كان حوله ثم عاد إلى المنصورية.[1]

وهكذا كانت بلاد المغرب الأدنى تضيع من يد المعز وهو محاصر في القيروان لا يقوى على وقف نهب وتخريب بني هلال لها، فعمد إلى مصاهرتهم بثلاث من بناته لثلاثة من شيوخ العرب وبفضل أصهاره استطاع الانتقال إلى المهدية 449هـ/ 1057م أين استقبله ابن تميم. وبانتقال المعز بن باديس عن القيروان سنة 449هـ/ 1057م فسح المجال أمام العرب الهلالية لدخول القيروان وأي دخول كان، فقط تفننوا في أساليب التخريب، والنهب والإفساد كما يصف ذلك المؤرخون، فابن أبي دينار بذكرانه في: << رمضان سنة تسعة وأربعين وأربعة مائة نهبت العرب القيروان وكان ذلك سبب خرابها>>، أما ابن خلدون يقول: << وجاء العرب فدخلوا البلد واستباحوه واكتسحوا المكاسب، وخربوا المباني، وعاثوا في محاسنها، وطمسوا من الحسن والرونق معالمها واستصفوا ما كان لآل –ليكين– وشملوا بالعيت والنهب سائر حريمها...فعظمت الرزية، وانتشر الداء وأعضل الخطب>>، واحتلت القيروان ودمرت سنة 449هـ/1057م[2].

[1]– بشير بوقعادة، المرجع السابق، ص 176.

[2]– نفسه، ص 182.

المطلب الثاني: خراب طرابلس

طرابلس هي مدينة من المدن الواقعة حاليا في ليبيا، وهي من أوائل المدن التي فتحها المسلمون ونقل عبد الرحمان من الحكيم تاريخين، وهما سنة 32/22هـ فيه ذكر قدامة حصر سنة 22هـ وابن الأثير سنة32هـ أما البكري فأكد أن ذلك تم في سنة 23هـ[1].

كانت مدينة طرابلس أو أطرابلس إحدى المعاقل الحصينة ومنبرا من منابر الإسلامية لكنها عرفت حوادث سياسية متعاقبة مرت بها، وبسكناتها وكانت الضربة القاصية لهذه المدينة الغزو الهلالي لمدن وأقاليم بلاد إفريقية والمغرب.

وخراب مدينة طرابلس كان أولا على أيدي عرب بني هلال، فقد وصل جموعهم المدينة سنة 442هـ[2]، وحين أعجبتهم توقفوا عن الحركة رغبة في سكنى المدينة، واقتتلوا فيها بينهم على ترابها، واستمرت الحرب بين زغبة ورياح وقد نتج عن هذا الصراع خراب عدة مدن، لذلك بادر البازوري إلى إرسال مكين الدولة أبي علي الحسن بن علي بن ملهم بن دينار العقيلي نحو طرابلس، للإصلاح بين زغبة ورياح، وتحفهم بخلع سلبية وأنعام كثيرة، وتحمل ما بينهم من ديات، ثم أمرهم بالمسير إلى المعز بن باديس وأتاحهما دياره، وتشدد في هذا الأمر[3]، وما كاد يأتي القرن الخامس هجري حتى أضحت بنايات المدينة خالية من السكان، رغم بقاء بعض معالمها خصوصا مركز المدينة إذ يشير الإدريسي إلا أن مدينة طرابلس والتي رغم

---

[1]–عبد الرحمان بن الحكيم، فتح إفريقية والأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الصانع، بيروت، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني والطباعة والنشر، 1963م، ص30، قدامة بن جعفر البغدادي: الخوار وصناعة الكتاب، دار الرشيد للنشر، بغداد، ط، 1981م، ص ص342، 343. أبو عبد الله بن محمد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط، 2013م/ ص55، خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن الخياط، تحقيق أكرم بناء العمري، دار القلم ومؤسسة الرسالة، دمشق وبيروت، ط2، 1396م، ص144. ابن الأثير ، المصدر السابق، ج2، ص404.

[2]–ذكر المقريزي أن ذلك تم سنة 443هـ، ولكن ابن الأثير أشار إلا أن ذلك كان سنة 442هـ، ولعل السنة التي ذكرها المقريزي هي التي وصلت فيها ظلا لهم إلى إفريقية. ينظر: ابن الأثير، المصدر السابق، ص86، المقريزي، اتعاض الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين، تح محمد عطا، (ط1)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1422هـ–2001م، ص217.

[3]– المصدر نفسه،215.

أنها مدينة حصينة وتوفرها على سور حجارة وما تتصف به شوارعها من الحصن والانتقال، وما تحويه من أسواق وكثرة العمارات فإن العرب قد أضرت بجميع جيهاتها وبما حولها، رحل أهلها وأحلت ديارها وغيرت أحوالها وأبادت أشجارها، وغيرت مياهها[1].

وواضح أن خراب المدينة كان جزئيا، وهو خراب جعلها تتحول إلى مدينة فقيرة ماديا وحضاريا، واستمر الحال على ما هو عليه بل تتدهور، خصوصا بعد تحرش الأساطيل الإسبانية بالسواحل الليبية، ويؤرخ العدري لأول محاولة استيلاء الأسبان على المدينة أثناء رحلته، فيقول: << ثم وصلنا إلى مدينة طاربلس سائر وقابلنا...استولى عليها من عربان البر والنصارى وتفرقت عنها الفضائل تفرق الحجيج يوم الفقير...لا ترى بها شجرا ولا ثمرا، ولا تحوظ في أرجائها حوظا ولا نهر، ولا تجتلي روبنا يحوي نورا ولا زهرا، بل هي أفقر من جوف الحمار >>[2] وكلام العذري يفيد أيضا أن خراب طرابلس لم يكن كليا، بل بقيت فيه بعض العمارة ولكنها لم تعد مدينة متحضرة ولا مستبحرة، وغير أمنة أو مستقرة، فشواطئها تهددها أساطيل النصارى، بينما طرقها ومسالكها تترصدها القبائل العربية المحاربة.

وفي القرن العاشر تعرضت لاستيلاء الأسبان على سواحلها وهو ما أتى على بقية من حصن المدينة ويقول مارمول في هذا الصدد واصفا المدينة: أن معظم جهات إقليم طرابلس كانت صحراوية قافرة، وإن فيها بعض القرى يقطنها البرابر...[3].

ثم إن مدينة طرابلس تعرضت للغزو الإسباني بقيادة الكونت بيدروالنفاري...في هذه المعركة قتلت النصارى أكثر من مئة مسلم، ثم رموا بعض جثثهم في آبار المساجد، وأحرقوا البعض

[1]–محمد بن محمد الإدريسي، نزهة المشتاق في إختراق الأفاق، مكتبة الثقافة الدينية، 2002، القاهرة، مج، ص297.

[2]– العبدري، الرحلة المغربية، تح: أحمد بن جدوا(د.ط) نشر كلية آداب الجزائرية الجزائر(د.ت)، ص117– 118.

[3]–مارمول، كربخال ، المصدر السابق، ص100.

الآخر، ثم أسروا أكثر من خمسة عشر ألف نسمة...أصاب المدينة الدمار والخراب، ولم يبقى منها قائما، سوى القصر الذي حصنهم المسيحيون[1].

وهكذا نلاحظ أن خراب مدينة طرابلس كان تدريجيا، وبدأ بالغزو الهلالي وانتهى بالغزو النصراني، فالأول كان ضمن هجرات الجماعات أما الثاني فكان ضمن الحرب الصليبية التي شنتها الكنيسة فيما عرف الاسترداد.

مارمول، كربخال ، المصدر السابق، ص ص121-123.

المطلب الثالث: مدينة برقة

مدينة برقة هي اسم لإقليم واسم للمدينة التي هي قاعدة هذا الإقليم، وهي مدينة قديمة افتتحها عمر وابن العاص سنة ثلاث وعشرين صلحا[1]، وأطلق اسم البرقة على الجزء الشرقي من ليبيا، وهو مأخوذ من الاسم اللاتيني Barca، وأطلق علها الرومان بقابوليس، ومعناها المدن الخمسة، وكانت برقة مدينة شهيرة مدن الإسلام، ومنزلا للجيوش القادمة من الخلافة في المشرق أثناء الفتح، ثم لعبت أدوارا بارزة إبّان الحكم الأغسطي، كما أنها حافظت على مدينة..... في الفترة العبيدية ويقول عنها البكري: << وهي دائمة الرخاء كثيرة الخير تصلح بها السائمة وتنمي على مراعيها >>[2].

لكن المدينة خلال النصف الأول من القرن الخامس هجري، شهدت حوادث جعلتها تتقهقر وربما ظن الكثير أن انخراب المدينة هو سبب الغزو الهلالي، فقد وصلت جموعهم إليها أين وجدوا بلادا كثيرة المرعى خالية من الأهل لأن زناتة كانوا أهلها فأبادهم المعز، فأقامت بها العرب واستوطنتها كما عاثوا في أطراف البلاد فساد، عملا بوصية المستنصر الذي أباح لهم من برقة إلى ما بعدها، وعندما استقروا في برقة تقاربوا على البلاد كان لسليم الشرق، أي برقة، ولهلال الغرب أي طرابلس وما والها غربا.[3]ويشير مارمول إلى ذلك ويعزو السبب في خرابها الأول إلى العواصف المواحاء التي كانت كثيرا ما تتعرض لها إضافة إلى شحوبة أرضها>>[4].

---

[1]– احمد بن إسحاق، البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ، ص184.

عبد الرحمان بن عبد الحكم، افتتاح إفريقيا والأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الصماع بيروت، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، 1964،ص29.

[2]– البكري، المصدر السابق، ص،ص،12–16.

[3]– البشير بوقعادة، المرجع السابق، ص 171.

[4]– مارمول، المصدر السابق، ص133.

هذا السبب الذي ورد عن مارمول جعلنا نبحث عن روايات تاريخية تؤكد هذا الكلام تنفذه، لنجد الجواب عند النويري حيث أشار إلى أن سبب عليه، وذلك عند قوله: << فدخلت العرب فوجدوا بلادا خالية طيبة كثيرة المرعى، كانت عمارتها زناتة فأبادهم المعز، فأقاموا بها واستوطنوها وعاشوا في أطراف البلاد >>[1].

أي أنه حيث وصلت القبائل العربية إلى المدينة وجدتها خالية السكان، فنزلوا بها وافتتحوا أمصارها واستباحوها[2]، ولم يصطدموا بأي مقاومة تذكر[3].وقد استقرت بعض بطون سليم ببرقة كلهب وأحلافها رواحة وناصرة وغمرة[4]. وفي القرن السادس الهجري سرد الإدريسي ملاحظاته على المدينة التي قال عنها:<< فمدينة متوسطة المقدار كاسدة وكانت فيها ملف على غير هذه الصفة وهي أول منبر ينزله القادم من بلاد مصر، القيروان ولها كور عامرة بالعرب وهي بقعة فسيحة فيكون مسيرها يوما وكسرا في مثله ويحيط بهذه البقعة جبل، أرضها حمراء حلوقية التراب وثياب أهلها أبدا حمر وبذلك يعرف أهلها سائر البلاد>>[5].

واستمر تراجع المدينة وتقهقرها إلى أيام العبدري الذي أكد أن: برقة التي حلّ بها أيضا الخراب واقفرت[6]. وفي القرن العاشر الهجري تحولت المدينة إلى خرابات متصلة، لذلك

---

[1]– النويري، المصدر السابق،211/24.

[2]– ابن عذاري، المصدر السابق، 2/1.

[3]– يجدر التنبيه إلى أنه ببرقة فرقة من هؤلاء الهلاليس لم يكونوا من الذين أجازوا في عهد المستنصر العبيدي، وإنما كانوا من ذلك ببرقة، ولهم أخبار من الصنهاجيين والشيعة ببرقة ومصر خصوب، ينظر: عبد الرحمان بن خلدون،المصدر السابق، ج5، ص ص25–22.

[4]– الإدريسي، المصدر السابق، 313/2، ابن خلدون، المصدر السابق ج6، ص20.

[5]– الإدريسي ،المصدر السابق،ص310.

[6]– العبدري ،المصدر السابق، ص134.

لم يعرها مارمول كثير اهتمام، بل أشار إليها في عجالة، تحمل في طياتها صورا من الشيخوخة والخراب وما حاق بالمدينة من البداوة وانتقال الساكنة[1].

[1]– مارمول، المصدر السابق، ص133.

الخـــاتـــمـــة

من خلال الدراسة التي أجريناها حول الأحداث التاريخية التي عرفتها كل من مدن المغرب الأوسط والأقصى والأدنى، وما أدى إلى تخريب هذه المدن، توصلنا إلى عدّة نتائج يمكن أن نلخصها كالآتي:

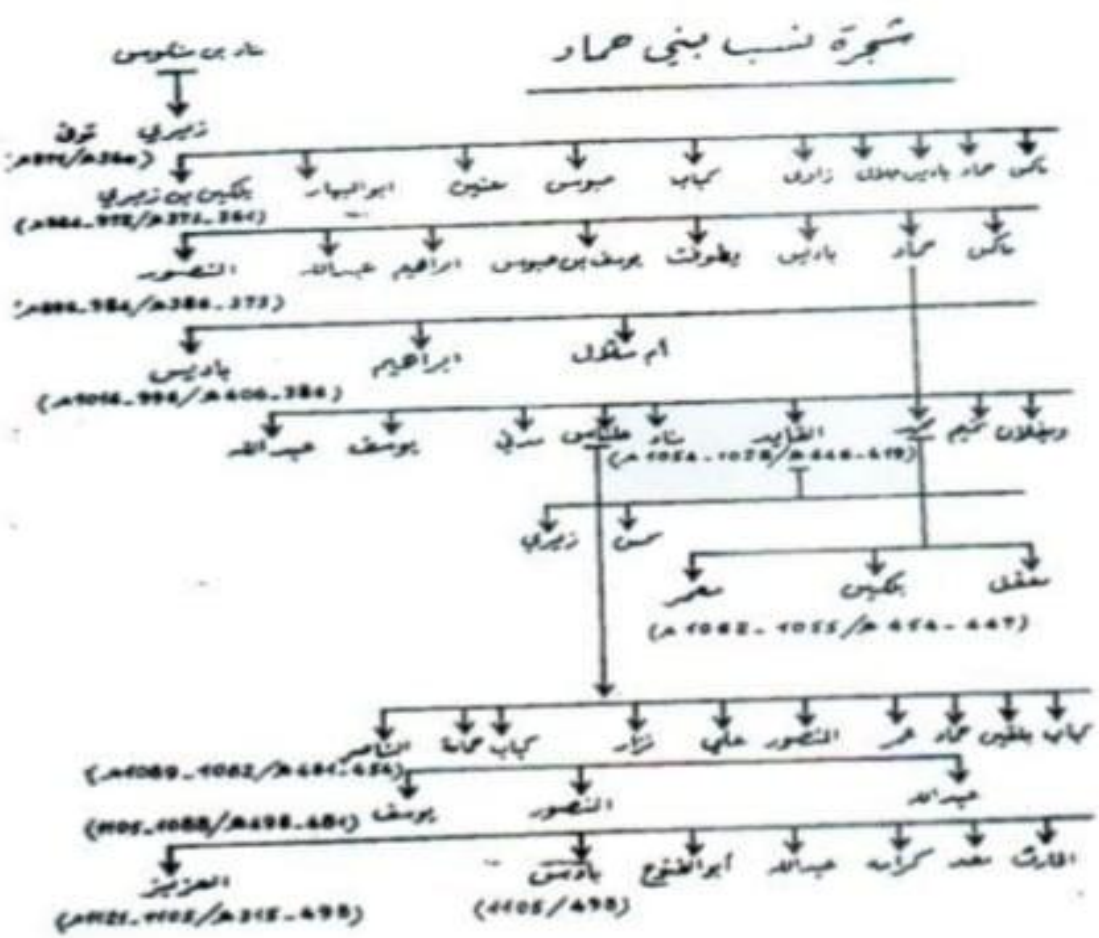
- كانت كثير من مدن المغرب الإسلامي عرضة لأعمال التخريب، وهو ما أثّر على العمران في بلاد المغرب الإسلامي.
- في بلاد المغرب الأقصى نجد تخريب مدينة سجلماسة وعدم صمودها أثناء الصراع المريني والزياني وضعف السلطة المركزية وتفاقم الصراعات القبلية، كما أنّ مدينة سبتة التي تعرضت لتخريب جزئي أيام الموحدين سرعان ما سقطت في أيدي البرتغاليين.
- وفي بلاد المغرب الأوسط نجد أن مدن تيهرت والقلعة ميلة كانت عرضة للتخريب بسبب وقوفها ضدّ الفاطميين أو نتيجة الغزو الهلالي.
- وفي المغرب الأدنى تلقت القيروان ضربة قاسمة وتحولّت عن دورها الريادي وصارت مدينة هامشية بسبب الغزو الهلالي، ونفس الشيء حصل لمدينتي طرابلس وبرقة رغم أن طرابلس وبرقة كانت شبه خالية بسبب الصراعات بين زناتة والزيريين، وطرد المعز بن باديس للزناتيين عنها.

- ساهمت الحوادث السياسية والعسكرية في خراب هذه المدن، ونتج عنه هجرة السكان وتقهقر العمران، وظهور مدن أخرى مثل بجاية التي تألقت عقب تربص الهلاليين بالقلعة.
- بعض المدن التي أشارت الرواية التاريخية إلى خرابها ظلّت مستمرّة، ما يعني أن الخراب المقصود هو هجرة السكان، وما تعرضت له مؤسسات الدولة من حرق وهدم.

وفي ختام هذا البحث نكون قد تحدثنا عن خراب المدن في بلاد المغرب ووقفنا عند أهم التداعيات والأسباب، واستعرضنا بعض المدن ووقفنا على جملة من الحوادث السياسية، ونأمل أن تحظى دراستنا هذا باهتمام بعض الباحثين، حتّى يطوّروا مباحثها ويُنيروا بعض الجوانب المظلمة التي لم نُوفّق للإجابة عنها.

الملاحق

الملحق رقم01:شجرة نسب بني حماد[1]



1- اسماعيل العربي، دولة بني حماد ، ص271.

الملحق رقم02: صور أعمدة مسجد أبو مهاجر دينار بمدينة ميلة [1]



من زاويتين



[1]– البشير بوقادة، خراب المدن بالمغرب الأوسط والأدنى بين 296هـ–909م،547هـ–1152م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيستر في تاريخ المشرق والمغرب الإسلامي، جامعة بوزريعة–الجزائر، سنة2012–2012م، ص290،289.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر

1. ابن الأثير أبو الحسن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني(ت 630هـ/1232م) الكامل في التاريخ، راجعة وصححه، يوسف الدقاق،ط4، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ-2003م.
2. ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمان بن محمد(ت808هـ،1405م) المقدمة (د.ط) دار ابن الهيثم، القاهرة،1426هـ-2005م.
3. ابن خلدون عبد الرحمان، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبطه، خليل شحادة راجعة، سهيل زكار،(د.ط) دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع، بيروت لبنان، 1421هـ-2000م.
4. ابن عذاري أبو عبد الله المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تح،محمد الكتابي وآخرون، ط1 ،دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب ودار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،1406هـ-1985م.
5. الادريسي الشريف ، نزهة المشتاق في اختراق الافاق مجلد الأول مكتبة دار الثقافة،1422هـ-2002م.
6. الإدريسي الشريف المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق حققه ونقله إلى لفرنسية محمد حاج صادق، (د.ط)، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر،1983.
7. البغدادي، الخوار وصناعة الكتاب، دار الرشيد للنشر، بغداد، ط، 1981م.
8. البكري أبو عبيد الله عبد الله الأندلسي(ت487هـ/1097م) المسالك والممالك مج2، تح: جمال طلبي، ط1، دار الكتب العلمية،بيروت لبنان،(1424هـ/2003م).

9. بن إسحاق احمد ، البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ.
10. بن الحكيم عبد الرحمان ، فتح إفريقية والأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الصانع، بيروت، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني والطباعة والنشر، 1963م.
11. بن سعيد المغربي علي بن موسى، كتاب جغرافيا، تحقيق وتعليق، إسماعيل العربي،(د.ط)، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان، 1970م.
12. بن عبد الحكم عبد الرحمان ، افتتاح إفريقيا والأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الصماع بيروت، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، 1964.
13. الحريرى محمد عيسى ، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس 160هـ-296م)،ط3، دار القلم للنشر وتوزيع الكويت1408هـ-1587م
14. الحموي، ياقوت شهاب الدين ابي عبد الله الرومي، (ت626هـ-1229م)، معجم البلدان، د،ط، دار صادر، بيروت، 1397هـ-1977م.
15. الحميري محمد بن عبد الله بن عبد المنعم، ت أواخر القرن9هـ/151م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس ،ط2، مكتبة لبنان بيروت 1984م.
16. الدرجيني أبو العباس احمد بنو سعيد (ت حوالي قرن7هـ/13م)، كتاب طبقات مشايخ في مغرب، تح: إبراهيم طلاي، (د.ط)مطبعة البعث قسنطينة الجزائر.
17. العبدري محمد، الرحلة المغربية، منشورات بونة، للبحوث والدراسات.
18. العبدري، محمد البنسلي، الرحلة المغربية، تح: أحمد بن جدوا(د.ط) نشركلية آداب الجزائرية الجزائر(د.ت).
19. العلوي حسن حافظ ،سجلماسة وإقليمها ،في القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي ،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 1418هـ.1997م،

20. لقبال موسى ، دور قتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري (11م)، (د ط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979

21. مارمول كربخال، إفريقيا، ج3، ترجمة، محمد حجي وآخرون، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، 1409هـ/1989م.

22. مجاني بوبة ،" مدينة قسنطينة في الفترة الإسلامية" مجلة العلوم الانسانية ،العدد8، جامعة قسنطينة1997.

23. مجهول كاتب مراكشي عاش في قرن6 هـ(12م)، كتاب الاستبصار في عجائب أمصار، تعليق سعد زقلول عبد حميد، ط2، دار الشؤون ثقافية عامة، بغداد ، عراق ودار نشر مغربية، دار البيضاء 1986م.

24. المراكشي ابن عذاري ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ،ج1،تح: ج،ش ،لولانوإليفيبروقنسال، ط3، دار الثقافة بيروت لبنان 1983.

25. المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص اخبار المغرب، شرحه صلاح الدين الهواري، (د، ط)، المكتبة العصرية، بيروت، 1426هـ-2006م.

26. المقريزي أبو العباس، تقي الدين احمد بن علي(ت548هـ/1441م): اتعاض الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين، تح محمد عطا، (ط1)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1422هـ-2001م.

27. النويري شهاب دين أحمد بن عبد الوهاب(ت733هـ/1332م) نهاية العرب في الفنون الأدب، تح عبد المجيد ترجيني(د.ط)، دار كتب علمية، بيروت لبنان،(د.ت).

28. الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقيا في عهد بني زيري من القرن10إلى القرن12م، ج1، ترجمة حمادة الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1992م.

29. الهنتاني نجم الدين، المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي إلى منتصف القرن 05هـ/11م، (د،ط) منشورات تبرر الزمان، تونس، 2004م.
30. اليعقوبي أحمد بن اسحاق، كتاب البلدان، مطبعة لندن،1890.

ثانيا: المراجع

31. بوقعادة البشير ، خراب المدن بالمغرب الأوسط والأدنى، رسالة ماجيستر في تاريخ المشرق والمغرب الإسلامي ، جامعة بوزريعة، الجزائر، 2013.
32. جعيط هشام الكوفة، نشأة المدينة العربية الإسلامية، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر 2005
33. جود عبد الكريم يوسف، العلاقات الخارجية للدولة الرستيمة، المؤسسة الوطنية للكتاب ط3، شارع زيروت يوسف
34. الجيلالي عبد الرحمان ، تاريخ الجزائر العرام، (د، ط)، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.
35. حساني مختار، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، ج3، (د.ط)دار الحكمة، الجزائر 2007.
36. حمادة مصطفى عمر ، المدن الجديدة دراسة الأنثروبولوجيا الحضرية، دار المعرفة الجامعية.
37. حمادة مصطفى عمر ، المدن الجديدة دراسة الأنثروبولوجيا الحضرية، دار المعرفة الجامعية.
38. حمدان جمال ، جغرافية المدن، ط2، علا الكتب،القاهرة،(د. ن)
39. زيتون سمير محمد ، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، (ط1)، دار المنارة للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، 1408هـ-1988م.

40. زيتون سمير محمد، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، (ط1)، دار المنار القاهرة، 1408هـ-1988م.

41. سليمان الطيب محمد ، موسوعة القبائل ال_عربية وبحوث ميدانية و تاريخية ، مج 1، ط2، دار الفكر الغربي القاهرة 1418هـ -1997م

42. طه جمال أحمد ، مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين448هـ 1056م إلى 668هـ 2169م ، دار الوفاء للطباعة والنشر ،الاسكندرية ، مصر

43. عبد الباقي محمد فؤاد ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم

44. عبد الحق معزوز، مدينة ميلة الإسلامية بين النصوص التاريخية والأثار المادية .

45. عثمان عبد الستار محمد ، المدينة الإسلامية، عام المعرفة الكويت 1988م.

46. العربي اسماعيل ، المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط3، شارع زيروت يوسف، الجزائر.

47. عويسي عبد الحليم ، دولة بني حماد، صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، ط2، دار القصور للنشر والتوزيع والقاهرة 1991/1411م

48. غالم محمد ، ظاهرة الزلزال في الأسطوغرافيا الجزائرية التقليدية(بين الذاكرة والتاريخ)،إنسانيات، المجلة الجزائرية في الأنتروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، ع3،

49. فيلالي عبد العزيز ، مدينة ميلة في العصر الوسيط، دراسة سياسية ثقافية إدارية عمرانية(د.ط)، دار البلاد لاتصال والخدمات قسنطينة، 1998.

50. فيلاي عبد العزيز ، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية والمغرب، (د،ط.)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.

51. قاموس المعجم الوسيط، اللغة العربية المعاصر، الرائد، لسان العرب، القاموس المحيط، قاموس، عربي، عربي.

52. محمود اسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري،ط2/ مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء المغرب،1406

53. الميلي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، تقديم وتصحيح: محمد الميلي،(د.ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ،(د،ت).

فهرس المحتويات

الفهرس:

شكـــر وعرفـــان 4

إهـــداء 5

إهـــــداء 6

مـــقـــدمـــة ..... أ

مبحـث تمهيدي: (ضبط أهم المصطلحات) 06

المطلب الأول:مفهوم المغرب الإسلامي: 07

المطلب الثاني: تعريف المدينة.....09

المطلب الثالث: تعريف الخراب 11

المبحث الأول:نماذج وأسباب خراب المدن في المغرب الأقصى **13**

المطلب الأول: مدينة سجلماسة.....14

المطلب الثاني:مدينة فاس.....16

المطلب الثالث: مدينة سبتة.....18

المبحث الثاني: نماذج وأسباب خراب المدن في المغرب الأوسط 19

المطلب الأول: مدينة تيهرت 20

المطلب الثاني:مدينة القلعة (قلعة بني حماد) 23

المطلب الثالث: تعريف مدينة ميلة 27

المبحث الثالث: نماذج وأسباب خراب المدن في المغرب الأدنى 33

المطلب الأول: تأسيس القيروان.....34

المطلب الثاني: مدينة طرابلس: 37

المطلب الرابع: مدينة برقة 40

الخـــاتـــــمـــة 44

المـــــلاحـــــق 47

قائمة المصادر والمراجع: 50

فهرس المحتويات: 57